بشير قهواجـــي

إنشاد للملكة ٱلجليلة

بقربان يبتدىء ٱلطقس
ويموت يتّصل ٱلكائن بٱلأصل

ــ شمس ٱلشتاء

آخرُ شعاعٍ غاربٍ غادرَ غرفتَنا موشوشاً :
شتاء...شتاء...
ووجهُكِ نصفُهُ للعتمة ونصفُهُ للنورِ ٱلذاهلِ
ٱقتَربي أرَ وجهَكِ لشمسِ تَهبُ
ٱلصحوَ وتمنحُ ٱلضحكات ٱلمنسيّة
ٱقتربي.

ــ زهرة ٱلبرونز (1)

مغنطيسٌ ثقيلٌ يسمِّمُ ٱلظلالَ تحت أقواسِ ٱلجِصّ
وٱلفاجعَةُ تكنُسُ بلاطَ ٱلقلعَةِ
مضتْ مركبةُ ٱلشتاء بٱلملكة ٱلجليلة
تسعونَ من ٱلخيَّالَةِ ٱلسُّودِ مرُّوا خَلْفَها
سنابكٌ وسنابكٌ ونُثارُ وَحْلٍ على مسالكِ ٱلسباسبِ.

ــ زهرة البرونز (2)

عواءُ ٱلقطِّ ٱلحَبشيِّ مُرْتَعِبُ ٱلاختلاجِ
وطيفُ زهرةِ ٱلبُرُنْزِ ذاهِلٌ في أدخِنَةِ ٱلغرفة ٱلمُغْلَقة
ملاكٌ طَرَحَ وشاحَ ٱللؤلؤِ وٱلريشِ ٱلاسْودِ
على سريرِ ٱلملكة
ٱلقلبُ ٱلرخامُ تكسَّرَ فجأة على منضدة
ٱلأكل وٱلكتابة
وٱلباب ٱلمصفَّحُ أُوصِدَ بإيماءةِ جناح

ــ زهرة ٱلبرنز (3)

ٱلأذن يرودها خرَس تجيء به
غمغمات ٱلسهوب
وزهرة ٱلبرنز في صقيع ٱلعتمة صمّاء
كأذن موهوبة للصمت
من في إظلامة ٱلقلاع لسماع ٱلانشاد
وترجيعهِ ٱلاوْجَع ؟
من ؟
ٱلأذنُ يرودها خَرَسٌ مدنَّسٌ بتراتيل جنازة.

زهرة ٱلبرنز (4)

لايّ ٱلسماوات تمدّ زهرةُ ٱلبرنز تاجَها ؟
سماء ٱلقلعة جرداء
وكلّ ٱلسماوات في لعنة ٱلقفر كٱلأرض
بعد ٱلخراب :
رحيل ٱلغبار وصوت ٱلتدحرج في ٱلهاوية.

ٱلهديّة

شهر ٱلربيع ٱلاول
عندما يزدَهر ٱلأقحوانُ في مَمَاشي ٱلمقابر
يقتطف ٱلشاعر زهرة برنز
هديّة لاعراس ٱلشعراء في ٱلصيف.

ــ قنديل ٱلمنعطف

ٱنطفأ ٱلقنديل ٱلأخير عند ٱلمنعطف
ٱلريح توقظ ٱلبردَ ٱلقديم في مكامنِ ٱلإرتعاد
تدفع دوّامة غبار عبر بوّابات ٱلصخر
إلى ٱلساحة ٱلغامضة
ٱنطفأ ٱلقنديلُ ٱلاخير و ٱلحلكة ٱنغلقت
على مسالك كلّ الايام.

ٱلخمرةُ ٱلرديئةُ وحشيشةُ ٱلكوابيس كَلَّسَتَا

هذا ٱلقلب
صبّارٌ وحسكٌ غذاؤُنا وغناؤُنا صمتٌ
في ٱلأقبية
آه، شجر ٱلايام تحجّر
ومليكة قلعَتِنا شبحٌ يسكن شاهدَ قبر.

أجراس ٱلساعات كجوق شَرِس تقهقه
تعلنُ ساعةً كانت لنُزْهَتِنَا.
لَمْلِمي أطرافَ ثوبكِ ٱلرخام وتعالَيْ
نغسلُ ساقَيْنَا بمياهِ ٱلبدرِ ٱلمثلّجة
ونبلّل شعرَنا.

ـــ ٱستواء

وحشة ٱلمدن وَرَّمَتِ ٱلقلبَ
وٱلمسالك إلى الصحراء موحشةٌ

وٱلعَجَلَةُ
تَحبُّ في ٱلسكون
كحصانٍ معدنيٍّ تقرعُ ٱلمنعطفَ.

ٱنظرْ أيها ٱلقلبُ ٱلمتورِّمُ
ٱلآنساتُ ٱلعاشقاتُ يَنْسَيْنَ مواعيدهنّ
أمسياتُ ٱلربيع تنسى دفئها
تغمرنا بقشعريرة ٱلبرد
تعلَّمْ أيها ٱلقلبُ
أنسَ لهاثك وهذا ٱلدويَّ
غداً لن نحتاجَ إلى ذاكرة.

ـــ مشهد ٱلليل

أتسع مشهدُ ٱلليلِ في حُديقة ٱلقطِّ ٱلحبشيّ
أسوار ٱلقلعة تُردِّدُ تنفُّسَ ٱلشجر ٱلأوسترالي
وشبح ٱلملكة في ردائها ٱلاغريقيّ يطرق

آلساحة آلغامضة
كانت لك أمنية آبتسامة أيّها آلقلب.

ـ الايام آلعجاف

بلغ آلليلُ مداهُ يا سيّدةَ آلكابوس
وها عصافيرُ آلدوريِّ تَسْبِقُ آلصبحَ
بسقسقاتٍ متشابكةٍ
تعلنُ نهارات أصيافٍ أخرى في آلقلعة
وعشايا من آلشاي آلرديء وآلغبار.

ـ مرايا آلصيف

آخدري في عربات آلغبار أيتها آلملكة
نُزْهَتُنَا آليومَ في حقلِ آلزيتونةِ آلمعمِّرَة
لنا آلشمسُ في عَراءِ آلسهوبِ
وبيتٌ من آلظلِّ تحت زيتونةِ آلحقلِ آلاصلع
هناك، نجلسُ على زربية صمتِنا قرب زجاجة
آلماءِ وآلكأسِ آلفارغتين.

ـ آلطفل آلعجوز وآلقلعة

كبرياء آلكلس وآلرخام، أُمُّنا،
أيتها آلعتيقة بين قلاع آلعرب
طفلُكِ آلنحيف برأسه شعرات بيضاء
وظلُّهُ آلاطوَلُ في آلظلالِ تقوَّسَ على
بلاطِكِ آلاملس
طفلك آلنحيفُ شاخَ فجأة
وآختلاجات وجهه معتَّمة في أزقَّة
آلكوابيس وفي آلمقهى وفي ساحات آلشمس.

ـ آليد

أيةُ يدٍ تَملَّكت حكم آلبدن ؟
أيَّةُ يدٍ هذه آلخارجةُ من وَحْلِ آلارض
ملتهبة تؤذي وتؤذي ؟

قَبْلُ،
كانت يدٌ شاحبة جليلة تحملُ السَّكِينَةَ إلى أوقاتنا.

ـ آرتجال

آه، لو تسمعون كما أسمعُ
هذا الصوتَ المُتَّسقَ من فوضى العناصرِ
يغنّي
ولادةَ المَلِكِ
والحبَّ الاسطوريَّ في مدائنِ الملاكِ.

طبولٌ

طبولٌ تعلنُ الليلَ، تمتدحُ في رهبتها سلطانَهُ
وآذان المغرب يشيع شوقَ المشلولَتَيْنِ إلى
مشيٍ في أغوارِ الظلمة.

طبولٌ.
طبولٌ

وصرختُنا بين صرخاتِ العتمة تدحرجت
وراءَ انزلاقِ الشمسِ بعد أصيلٍ شاحب.
الريحُ في الحديقة تُدَحْرِجُ ذاكرةَ الخريف
تحت المقاعدِ المقرورة
وجَوْقُ الشتاءِ فوقَ شوارعِ القلعة
جُهِّزَ حَفْلُ الصمت أيتها الرّوح المستغرقة
في أوجاعها.

صوت الختام

هنا يَسْمَحُ لنا صمتُ الأبديةِ المنحوتِ
في المجرّاتِ بكلامٍ قليلٍ، ثمّ آه...
فرحَتُنا القصيرة تستعيدُها الأرضُ
ونحن لم نَقُلْ حكايَتَنا كاملةً.

القيروان